المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي

مركز البحوث التربوية والنفسية

الازدواجية في السلوك

أسبابها وطرق علاجها من منظور التربية الإسلامية

إعداد الدكتور
عبدالرحمن بن سعيد بن حسين الحازمي

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالى
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية
مركز بحوث العلوم التربوية والنفسية

سلسلة بحوث العلوم التربوية والنفس

الازدواجية في السلوك

أسبابها وطرق علاجها من منظور التربية الإسلامية

إعداد الدكتور
عبد الرحمن بن سعيد بن حسين الحازمي

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

ح جامعة أم القرى، ١٤٢٦هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

الحازمي، عبدالرحمن بن سعيد

الإزدواجية في السلوك. / عبدالرحمن بن سعيد الحازمي - مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ

٦٤ ص ؛ ١٧×٢٤ سم

١ - السلوك (علم النفس) ٢ - الأخلاق الإسلامية

أ. العنوان

ديوي ١٥٠ ١٤٢٦ / ٥٢٦١

رقم الإيداع : ١٤٢٦ / ٥٢٦١

ردمك : ١ - ٧٨٥ - ٠٣ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة لجامعة أم القرى

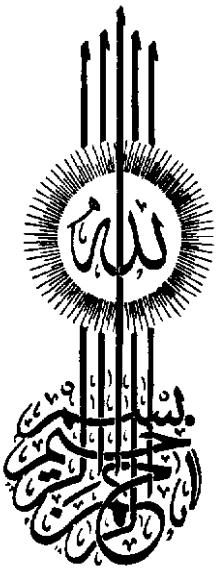
بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] (آل عمران:١٠٢)، [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً] (النساء:١)، [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً] (الأحزاب:٧٠- ٧١)، وأصلي وأسلم على الهادي البشير والسراج المنير سيدنا وقدوتنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه والتابعين ومن استن بسنته إلى يوم الدين أما بعد:-

فمما لاشك فيه أن القرآن الكريم والسنة المطهرة، وضعا للإنسان المسلم القواعد والأسس التي تحدد وتوجه كل سلوكياته، فإما أن يكون التوجيه إلى أمر بخلق ممدوح يوجب الأخذ به، أو نهي عن خلق مذموم يوجب الابتعاد عنه، ولذا قال ﷺ: (ما تركت شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به، وما تركت شيئاً مما نهاكم الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه) (البيهقي، السنن الكبرى، باب الدليل على أنه ﷺ لا يُقتدى به فيما خُص به ويُقتدى به فيما سواه رقم (٥٨)، ج ٧، ص ٧٦).

ولذلك ينبغي أن يكون سلوك الإنسان المسلم وفق توجيهات الإسلام آمراً ونهياً، قولاً وفعلاً، ظاهراً وباطناً، ومما يؤسف له ويلفت النظر اليوم أن

نـرى ونـسمع عـن سـلوكيات بعـض المـسلمين الـتي تتـصف بالتنـاقض، أو مـا يمكن تسميته بازدواجية السلوك.

ولا ريـب أن هـذه الازدواجيـة في سـلوك الإنـسان المـسلم غـير مقبولـة ويرفضها الإسلام رفضاً تاماً، دلت على ذلك النصوص الصريحة من القرآن الكريم والسنة المطهرة وبالغت في التحذير منها، ومن المؤسف له أن هذه الازدواجية أصبحت ملحوظة اليوم، وتسبب للمهتمين بأمر المسلمين من الدعاة والموجهين والمصلحين والمربيين قلقاً لما لها من أثار سيئة حاضراً ومستقبلاً على الفرد والمجتمع في وقت المسلمون في أشد حاجة إلى جيلٍ واعٍ من الشباب المسلم ينهض بالأمة الإسلامية للوصول بها إلى المكانة اللائقة بها.

وموضـوع الـسلوك أو الشخـصية ذو مجـال رحـب يمكـن لأصـحاب الدراسات المختلفة تناوله سواء منها: الفلسفية، أو التاريخية، أو الاجتماعية، أو خبراء النظريات والنظم المذهبية (بنت الشاطئ، الشخصية الإسلامية، ص ١١).

من هذا المنطلق رأيت أن أدلي بدلوي وأشارك في هذا المضمار بدراسة ظاهرة الازدواجية في السلوك الإنساني وتحديد أسبابها وآثارها على الفرد والمجتمع وموقف الإسلام منها وطرق علاجها من منظور تربوي إسلامي.

سائلاً الله تعالى التوفيق فيما ذهبت إليه، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه وابتغاء مرضاته.

د. عبد الرحمن بن سعيد الحازمي

موضـوع الدراسـة :-

إن ازدواجيـة السلوك تُلحـظ عنـدما تجـد أحـد المسلمين يحـدثك عـن الكـذب والـصدق، و النميمـة والغيبـة وجـزاء مـا يترتـب علـى ذلـك في الـدنيا والآخـرة، ثم إذا راقبت سلوكه لاحظت فعله مخالفاً لقوله !! وتجد شاعراً مسلماً يشنف سمعك بقصائد يفوح منها عبق الإسلام وسمو تشريعاته، وفي مقام آخر يؤذي سمعك بقصائد فيها دعوة إلى الفجور وارتكاب المحظورات الشرعية !! وتجد مسلماً يكتب عن سماحة الإسلام وتشريعاته السامية، وفي مقام آخر يتحدث عن مفاهيم وعبارات لا تمت إلى الإسلام بأي صلة على وجه الإعجاب والقبول !!

وقد أشار ابن القيم - رحمه الله - إلى ازدواجية السلوك حيث أكد أنك ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بكلمات تسخط الله تعالى وينزل بالواحدة منها إلى أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورعٍ عن الفواحش والظلم والمنكرات ولكن لسانه يفري في أعراض الناس الأحياء والأموات، ولا يبالي بما يقول (الجواب الكافي، ص ١٧١).

كما أكد وجود ازدواجية السلوك هذه الكثير من الكتاب المعاصرين، وأعرض هنا بعضاً من أقوالهم، فيقول النحوي:

" من الناس تراه ينهض للصلاة، فإذا نظرت إليه وهو في صلاته أيقنت أنه يصلي صلاة المسلمين، ولكنه إذا خرج من الصلاة ومارس الفكر والسياسة كان اشتراكياً، وإذا عارك الأدب كان شيوعياً، وإذا تاجر كان جاهلياً رأسمالياً، أو بّدل بين المذاهب كما يشاء، كم من الناس تراهم

يصلون ثم إذا خرجوا من الصلاة شعروا كأن مهمة الإسلام انتهت، ودوره توقف، فإذا قرأت له في الأدب لا تحس بنبضة الإيمان فيه، ولاحرارة اليقين، ولا تري أثر خشوع الصلاة، وإذا قرأت له فكراً لا تحس بحلاوة التوحيد ونور العقيدة، قد يصلي ويصوم، وقد يؤدي فريضة الحج، ثم ترى ولاءه لعائلته قبل كل شيء، أو لمصالحه أو لعصبته مهما تكن عصبته، إنه لا يستطيع أن يكون مسلماً في شعائره، مسلماً في فكره، مسلماً في أدبه، مسلماً في تجارته و معاملاته، مسلماً في وطنيته إنه يجمع مذاهب الأرض كلها، أو بعضها في ميادين سلوكه ونشاطه" (منهج المؤمن بين العلم والتطبيق، ص ١٨٨).

وننتقل مع الهاشمي ليصور لنا ازدواجية السلوك كما لاحظها على كثير من المسلمين إذ يقول:

"إن اهتمامي في موضوع تجلية شخصية الإنسان المسلم كما أراد له الإسلام أن يكون، يعود إلى سنين لاتقل عن عشر، إثر ملاحظاتي على كثير من المسلمين إفراطاً في جانب وتفريطاً في جانب آخر، أو اهتماماً بأمور وتساهلاً بأمور أخرى، كأن تجد الواحد منهم يحرص على الصلاة في الصف الأول، ولكنه لا يأبه للرائحة الكريهة تنبعث من فمه، أو تفوح من أدارنه، أو تجده طائعاً لله مخبتاً خاشعاً، ولكنه مقصر في صلة رحمه، وقد تجده منصرفاً إلى العبادة والعلم، ولكنه مقّصر في تربية أولاده، غافل عما يقرأون ومن يرافقون، أو تجده معنياً بأولاده، ولكنه عاقٌ لوالديه، قاسٍ في معاملتهما، وقد تجده براً بوالديه، ولكنه يظلم زوجته ويسئ عشرتها..." (شخصية المسلم، ص ٧).

وأخذ الكاتب يستطرد في إيراد الكثير من الأمثلة لأحول بعض المسلمين. وذكر في كتابه هذا أمثلة كافية لإيضاح ما تناوله من ظهور الازدواجية في أقوال وأعمال كثير من المسلمين اليوم.

ثم ننتقل مع آل عبد اللطيف الذي يؤكد لنا الحاجة إلى كتابات معاصرة تعالج الجانب السلوكي لما لاحظه من كثرة الانحرافات والمخالفات للسلوك السوي من قبل أعدادٍ كبيرة من المسلمين إذ يقول:

"ومع شدة الحاجة إلى فقه السلوك علماً وعملاً، فإننا قد لا نجد كتابات معاصرة تعالج الجانب السلوكي من خلال منهج أهل السنة إضافة إلى كثرة المخالفات والانحرافات للسلوك السوي من قبل أعداد كبيرة من أهل السنة، فضلاً عن غيرهم " (معالم في السلوك، ص ٣).

وبناء على ما سبق يتبين بما لا يدعو مجالاً للشك وجود ازدواجية السلوك لدى بعض المسلمين، ولذلك جاءت هذه الدراسة محاولة لمعالجة هذا الموضوع.

تساؤلات الدراسة:

تدور الدراسة حول السؤال الرئيس الآتي:-

ما أسباب ازدواجية السلوك وآثارها على الفرد والمجتمع وموقف الإسلام منها وطرق علاجها من منظور التربية الإسلامية؟

والإجابة على هذا السؤال تتطلب الإجابة على الأسئلة الفرعية الآتية:-

س ١ - ما أسباب ازدواجية السلوك؟
س ٢ - ما آثار ازدواجية السلوك على الفرد والمجتمع؟
س ٣ - ما موقف الإسلام من ازدواجية السلوك؟
س ٤ - ما طرق علاج ازدواجية السلوك من منظور التربية الإسلامية؟

أهداف الدراسة :

تحاول الدراسة من خلال الإجابة على أسئلتها تحقيق الأهداف الآتية :-

١ - التعرف على أسباب ازدواجية السلوك.

٢ - إيضاح أثار ازدواجية السلوك على الفرد والمجتمع.

٣ - بيان موقف الإسلام من ازدواجية السلوك.

٤ - إيضاح طرق علاج ازدواجية السلوك من منظور التربية الإسلامية.

أهمية الدراسة :

تواجه الأمة المسلمة اليوم تحديات كبيرة جداً تكاد تكون في مختلف شؤون الحياة: السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والتربوية، والثقافية، ولعل أهم تحدٍ نواجهه اليوم هو التأثير على عقيدتنا من خلال ما يبث عن طريق الفضائيات، وشبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)، وفي مقابل ذلك لابد من العمل الجاد من قبل أبناء الإسلام في شتى المجالات لمواجهة تلك التحديات وقاية وعلاجاً.

من هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة محاولة تلمس أسباب وعلاج ازدواجية السلوك لدى الإنسان المسلم، من أجل تعريفه وإيقاظه بأن هناك خللاً ما في سلوكه قد يؤثر سلباً في مواجهة تلك التحديات التي تحيط بأمته، ونحن في أمس الحاجة إلى إنسان مدرك لسلوكه محافظ على توازنه وفق معطيات المنهج الإسلامي، لكي يستطيع مواجهة هذه التحديات بكل اقتدار، بل يعمل على تجاوزها ليكون مؤثراً لا متأثراً، لأن الإسلام ما وجد إلا ليكون قائداً عالمياً حتى يحقق للإنسانية عامة الأمن الوارف والسلام الحقيقي.

ولعل هذه الدراسة توجه أنظار المؤسسات العلمية والاجتماعية والتربوية بأنواعها المختلفة ومستوياتها المتعددة إلى النظر في ظاهرة تفشي الازدواجية في سلوك المسلمين اليوم لتضع لها الحلول المناسبة والعلاجات الناجعة وفق آليات علمية أشارت هذه الدارسة إلى أهمها مشاركة في وضع المنهج العلاجي السليم الذي رأته سبيلاً لذلك.

منهج الدراسة:

المنهج الوصفي هو أقرب المناهج لهذه ا لدراسة، ويتضح ذلك من خلال تعريفه لدى المختصين بالبحث العلمي فيقول عنه عبيدات وآخرون:

"إنه الأسلوب الذي يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً، ولا يقتصر الأسلوب الوصفي على وصف الظاهرة وجمع المعلومات والبيانات بل لا بد من تصنيف هذه المعلومات وتنظيمها والتعبير عنها كمياً أو كيفياً من أجل الوصول إلى استنتاجات وتعميمات تساعدنا في تطوير الواقع الذي ندرسه" (البحث العلمي، ص ١٨٣- ١٨٤).

وعليه فقد تم وفق هذا المنهج دراسة ظاهرة الازدواجية عن طريق رصد سلوكيات فئات من أفراد المجتمع، ومن جمع المعلومات بواسطة المصادر والمراجع المعنية بالسلوك الإنساني أيضاً، وتم تصنيفها وتنظيمها وتبويبها لتتناسب وتتناسق مع كل سؤال من أسئلة الدراسة، ثم خلصت الدراسة إلى وضع جملة من التوصيات التي تعالج هذه الظاهرة.

تحديد المصطلحات:

من أبجديات البحث العلمي أن يشرع الباحث في تحديد مصطلحات الدراسة التي قد يشكل على القارئ فهمها لتحديد المقصود منها، وهناك بعض المصطلحات في هذه الدراسة ينبغي تحديدها:

أولاً: الازدواجية.

التعريف اللغوي والاصطلاحي:-

يشير ابن منظور في لسان العرب إلى أن المزاوجة والازدواج بمعنى واحد وازدوج الكلام وتزاوج: أشبه بعضه في السجع أو الوزن، وتزاوج القوم وازدوجوا: تزوج بعضهم بعضاً (ج٢، ص ٢٩٣).

وفي المعجم الوسيط تحت شرح معنى المزدوج يقال: مزدوج الثمر في علم الأحياء أي: النبات الذي يحمل نوعين من الثمار مختلفي الصفات، أو مختلفي موسم النضج (ج١، ص ٤٠٦).

ويقال ازدواج الثقافة: " أي وجود ثقافتين في أحد المجتمعات مما يستلزم إعداد برامج تربوية خاصة "(بدوي، معجم مصطلحات التربية والتعليم، ص ٤٦).

وقد يقول قائلٌ: إن الازدواجية خاصية فطرية في الإنسان، فهو مخلوق من طين يمثله: الجسد بجميع أجزائه، ومن روح الله يمثله: الوعي والإدراك والإرادة، وفيه جانب الخير وجانب الشر، وفيه السلبية والإيجابية، ونحن نوافقه على ذلك، ونؤكد عليه، ونذهب معه إلى ما أكده الشيخ محمد قطب إذ يقول أن الإنسان في حالته السوية مخلوق مزدوج الصفات فلا هو مَلَكَ ولا هو

شيطان، وإن كان في بعض الحالات يصل سلوكه إلى درجة الشيطان، وفي بعض حالاته يسمو بروحه إلى درجة المَلَكَ، وفي حالاته الطبيعية بين هذا وذاك، مشتمل على الخير كما هو مشتمل على الشر، وليس العنصران غريباً عن طبعه ولا مفروضاً عليه من خارج نفسه (الإنسان بين المادية والإسلام، ص ٦٩).

إذاً فليس المقصود بالازدواجية هنا الحالة السوية التي تتكامل فيها العناصر المزدوجة في الإنسان، ولكن المقصود هو: الانحراف والبعد كثيراً عن الوسطية والتوازن الحقيقي الذي وضعه المنهج الإسلامي (قرآناً وسنة) للإنسان في تعامله مع خالقه ومع الكون والإنسان والحياة.

ومن هذا يظهر أن " الازدواجية في السلوك الإنساني " بمعناها المراد اليوم الذي يقصده علماء التربية والاجتماع، والمعنيون بتَتَبُّع دراسة سلوكيات الناس لا صلة له بالوضع اللغوي التراثي، ولا بمعناه المعجمي.

بل هو مصطلح جديد يُقْصَدُ به دراسة المفارقات والتناقضات السلوكية في أقوال وأعمال الناس الذين يقولون القول، أو يعملون العمل، ثم يقولون، ويعملون نقيضه دون أن يكون لهم وازع ديني، ولا سلوك اجتماعي يردعهم عن ذلك التَّلوُّن.

وهذا التَّلوُّن والخداع في السلوك الإنساني هو الذي ذم الله به بعض المؤمنين الذين كانت سلوكياتهم تناقض أقوالهم، ذمهم الله عز وجل بقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّـهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ} (الصف:٢- ٣).

ثانياً: الشخصيــة.

التعريف اللغوي والاصطلاحي:-

الشخصية: سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه (ابن منظور، ج ٧، ص ٤٥).

وفي المعجم الوسيط، الشخص: كل جسم له ارتفاع وظهور وغلب في الإنسان، وعند الفلاسفة: الذات الواعية لكيانها المستقلة في إرادتها، والشخصية:صفات تميز الشخص عن غيره ويقال: فلان ذو شخصية قوية: ذو صفات متميزة وإرادة وكيان مستقل عن غيره. وهي من الألفاظ المحدثة (ج ١، ص ٤٧٥).

وفي معاجم التربية وعلم النفس تُعَرَّف الشخصية بأنها " نظام متكامل من مجموعة الخصائص البدنية والوجدانية والنزوعية والإدراكية التي تُعيّن هوية الفرد وتُمَيزه عن غيره من الأفراد تمييزاً بيّناً، وكما تبدو للناس أثناء التعامل اليومي الذي تقتضيه الحياة الاجتماعية " (بدوي، معجم مصطلحات التربية والتعليم، ص ١٩٧).

كما تُعَّرف بأنها: " تكامل الصفات الجسدية والخلقية المميزة لفرد ما بما في ذلك بناؤه الجسدي وسلوكه، واهتمامه ومواقفه وقدراته وكفاءاته، كلية الشخص كما يراها الآخرون (عاقل، معجم علم النفس، ٨٣).

وتُعَّرف بأنها "حاصل جمع كل الاستعدادات والميول والغرائز والدوافع والقوى البيولوجية والفطرية الموروثة، وكذلك الصفات والاستعدادات والميول المكتسبة من الخبرة" (فرغل، معالم شخصية المسلم، ص ٧).

وعلـى ذلـك فالشخـصية هـي: كـل الـصفات والخـصائص الموروثـة والمكتسبة التي يتميز بها كل شخص عن الآخر.

ثالثاً: السلـوك.

التعريف اللغوي والاصطلاحي:-

السلوك: مـصدر سـلك طريقـاً، والمسلك: الطريـق، والّسلْكُ: إدخـال شـيء تسلكه فيه (ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص ٤٤٣).

والسلوك: سيرة الإنسان مذهبه واتجاهه (المعجم الوسيط، ج١، ص ٤٤٥).

ويُعَّرف السلوك في معاجم التربية وعلم النفس بأنه " أي فعل يستجيب به الكـائن الحـي برمتـه لموقـف مـا استجابة واضحة للعيـان، وتكـون عضلية أو عقلية أو كلاهما معاً، وتترتب هذه الاستجابة على تجربة سابقة، وقد يكـون السلوك فطرياً أو مكتسباً (بدوي، مرجع سابق، ص ٤٤).

أمـا جـون ديـوي المربـي الأمريكـي فَيُعِّـرف الـسلوك بأنـه " تفاعـل بـين عناصر الطبيعة الإنسانية والبيئية الطبيعية والاجتماعية " (وين، قامـوس جـون ديوي للتربية، ص ١٢٧).

إذاً فالسلوك هو كل حركة قولية أو فعلية تصدر من الإنسان نفسه أو تكون رد فعل لموقف معين.

العلاقة بين الشخصية والسلوك..

وبناءً على ما ذكر آنفاً في تعريف الشخصية نجد أنها نظام متكامل لكل نواحي الإنسان بما فيه سلوكياته، فالسلوك إذاً جزء من الشخصية.

أنـواع السلـوك..

هناك تصنيفات للسلوك الإنساني أشار إليها العلماء والمختصون، ومن تلك التصنيفات ما يلي:

أولاً: تصنيف ابن تيميه (رحمه الله).

أشار ابن تيميه إلى أنواع السلوك وقال عنها (أعمال الأبدان) وهي: ثلاث درجات: ظالمٌ لنفسه، ومقتصدٌ، وسابقٌ بالخيرات. وهذا التصنيف مأخوذ من قوله تعالى: [ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ] (فاطر:٣٢). ويوضح ابن تيميه هذه الأصناف بقوله:

فالظالم لنفسه: العاصي بترك مأمور أو فعل محظور.

والمقتصد: المؤدي الواجبات والتارك المحرمات.

والسابق بالخيرات: المتقرب بما يقدر عليه من فعل واجب ومستحب والتارك للمحرم والمكروه (مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيميه، ج ١٠، ص ٦).

ثانياً: تصنيف محمد دراز (رحمه الله).

يقول دراز: أنه يمكن تصنيف الناس في سلوكهم إلى ثلاثة أصناف هي: -

١- صنف لا يفعل الخير ولكنه يحب أن يحمد به، ويقترف الإثم ثم يرمي به من هو بريء منه، إذا كان عليه الحق ضجر به، وإذا كان له الحق ألح في طلبه ولم يقبل في ذلك معذرة، هذا صنف من الناس شعارهم: كن كلاعب الشطرنج، خذ ولا تعط، فإن لم تستطع فخذ أكثر مما تعطي. وتلك خلة قوم وصفهم الله تعالى بأنهم أحرص الناس على حياة.قال جل وعز: [وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ] (البقرة:٩٦).

٢- الصنف الثاني لا يبخلون بالحق الذي عليهم بل يسارعون إلى أدائه، ولكنهم يحرصون في الوقت نفسه على الحق الذي لهم، ولا يتهاونون في اقتضائه، لايبدأون أحداً بظلم ولاعدوان، ولكنهم إن ظلموا انتصفوا ممن ظلمهم، وحرموا من حرمهم، شعارهم خذ بقدر ما تعطي، قال تعالى: [لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ] (البقرة: الآية٢٧٩).

٣ ـ وصنف أخير تجاوز العدل إلى الفضل، لا يظلمون أحداً بل يعفون عمن ظلمهم، ولا يبخسون أحداً حقه، بل يسمحون له ببعض حقوقهم،

وشعارهم أعط ولا تأخذ، فإن لم تستطع فأعط من نفسك أكثر مما تأخذ (دراز، نظرات في الإسلام، ص ١٠٤ ـ ١٠٧).

وبمقابلة التصنيفين السابقين لأنواع السلوك مع موضوع هذه الدراسة (الازدواجية في السلوك)، نجد أن ابن تيميه رحمه الله أشار إلى ازدواجية السلوك ضمن التقسيم الأول (الظالم لنفسه) حيث يقول: " وأما الظالم لنفسه من أهل الإيمان: فمعه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه كما معه من ضد ذلك بقدر فجوره إذ الشخص الواحد قد يجتمع فيه الحسنات المقتضية للثواب، والسيئات المقتضية للعقاب، حتى يمكن أن يثاب ويعاقب " (المرجع السابق، ص ٧).

أما تصنيف دراز رحمه الله فلم يشر إلي ازدواجية السلوك ضمن تصنيفاته التي أشرنا إليها، ويؤكد ذلك قوله: " لو كان لنا أن نرمز لكل واحد منها برمز حسابي، لوضعنا على أولها علامة النقص، وعلى الثاني علامة المساواة، وعلى الثالث علامة الزيادة " (ص ١٠٧).

وعلى أية حال فالازدواجية وضع قائم في سلوك الإنسان، فربما يلمسها العاقل في ذاته أو يراها وفي الآخرين.

المبحث الأول: أسباب ازدواجية السلوك.

إن البحث عن أسباب ازدواجية السلوك في الإنسان المسلم ليس من الصعوبة بمكان، إذ أن الناظر إلى ممارسات الناس اليومية يستطيع أن يحصر أسباباً كثيرةً لهذه الظاهرة، لذلك يمكن أن نركز على خمسة منها، أرى أنها هي الأسباب الرئيسة، وقد تندرج تحتها بقية الأسباب الأخرى. وهي: -

أولاً: عدم الالتزام بحقائق الدين الإسلامي.

إن الإنسان المسلم يفترض فيه أن كل حركاته وسكناته مرتبطة ارتباطاً تاماً بالدين.قال تعالى: [قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ] (الأنعام:١٦٢- ١٦٣)، ويعلق هلال على أهمية الدين الإسلامي في حياة الفرد والجماعة فيقول:

" في الواقع فإن الفرد أو الجماعة التي لا تأخذ بدين الإسلام وآدابه ونظمه في حياتها نجده، أو نجدهم، لا يتميزون عن السائمة التي لا يهمها إلاّ ما تأكل وما تحصل عليه من طعام وشراب، بأي وسيلة من الوسائل خسيسها أو شريفها، وعادة لا يحصل هؤلاء وأولئك ما يدفعون إلى تحصيله إلاّ بالوسائل الخسيسة التي لا تتفق مع خلق، ولا مع طبع كريم، فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد كرّم الإنسان بشيء فإنه لم يكرمه إلاّ بإنعامه عليه بهذه النعمة الكبرى نعمة الدين " (الدين وقيادة الدنيا، ص ٥١).

ولـذلك أسـتطيع القـول أن أي خلـل في سـلوك الإنسـان المسلم هـو نتيجـة طبيعيـة لعـدم تمسـكه بالـدين ومـا يتضمنه مـن توجيهـات سـامية، إمـا جهـلاً، وإما اتباعاً لشهوة أوهوى.

ثانياً: غياب الأسوة الحسنة (القدوة الصالحة).

لا يكاد يخلو كتاب من كتب التربية الإسلامية أو الثقافة الإسلامية، إلاّ وفيه إشارة من قريب أو من بعيد لدور الأسوة الحسنة الفاعل في حياة الناس وعلى الرغم من ذلك لانزال نعاني من غيابها بشيء ملفت للنظر.

ولكن على الرغم من ذلك ينبغي لنا أن لا نفقد الأمل، ونكرر القول تلو القول بأهمية وجود الأسوة الحسنة، لعل الله جلت قدرته أن يستجيب نداءنا ودعاءنا بوجود رجال هداة مهتدين في مختلف المجالات ليكونوا قبس خير ومشعل هداية لغيرهم.

ولما كانت القدوة من الأساليب المهمة في التربية، فقد ركز عليها الإسلام وجعل الله تعالى نبيه محمداً ﷺ هو القدوة الحسنة، فقال عز من قائل: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً] (الأحزاب:٢١)، والرسول ﷺ كما يشير الشيخ محمد قطب أكبر قدوة للبشرية عبر تأريخها الطويل، وكان مربياً وهادياً بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام الذي ينطق به (منهج التربية الإسلامية، ج١، ص ١٨٣).

ويقول النحوي إنه مما يدعو للنظر والتأمل أن بعض المسلمين ـــ هدانا الله وإياهم ـ جعلوا من بعض الناس قدوة لهم بدلاً من الرسول ﷺ، وإن كان هؤلاء لا نشك في نزاهتهم وصلاحهم، ولكن ليسوا بمستوى النبوة الخاتمة ـ

ولا وجه للمقارنة – وبسبب ذلك أخذت كل طائفة نموذجاً لها تجعله قدوتها وتترسم خطاه وتفرق الناس شيعاً وأحزاباً (التربية في الإسلام، ص ٢٤٦).

وعلينا معاشر المسلمين إعادة حساباتنا وترتيب أوراقنا من جديد للالتزام التزاماً كاملاً بخير قدوة للبشرية كما وجهنا لذلك الخالق العالم بما يصلحنا وما لا يصلحنا فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب:٢١)، ومن اقتدى بالرسول ﷺ حق الاقتداء صلح سلوكه وأثر فيمن حوله تأثيراً إيجابياً وهو ما نؤكد عليه هنا.

ثالثاً: المؤثرات الخارجية.

الذي يهمنا بالدرجة الأولى هنا هو حال المسلمين اليوم وما آلت إليه أمورهم من ضعف، وتدهور، وانحراف سلوكي كبير بما أنهال عليهم من وسائل المؤثرات الخارجية التي أبعدتهم عن آداب الدين الإسلامي، ورسخت فيهم حب التطلع والتبعية للمبادئ والقيم الأجنبية والعمل بها واعتبارها مغنماً سلوكياً.

ومن أبرز هذه المؤثرات:

١- السفر إلى الخارج إما لطلب العلم أو للسياحة.

٢ - ترجمة العلوم والمعارف الغربية بما فيها من مفاهيم وتصورات خاطئة.

٣ - وسائل الإعلام الغربية والعربية المستغربة وما تبثه من برامج تحوي أفكاراً ومبادئ وقيماً غربية لا تتفق مع الإسلام، ومن أهم هذه الوسائل في العصر الحاضر، القنوات الفضائية وشبكة المعلومات العالمية (الإنترنت).

٤ - تسخير كثير من رجال الفكر والخبراء والمدرسين والعلماء في أكثر التخصصات من الذين هم على مذهبهم وشاكلتهم لنقل وإشاعة أفكار ومبادئ وأخلاقيات غير إسلامية إلى الفكر الإسلامي إما بجهودهم وإما بواسطة طلابهم الذين تتلمذوا عليهم فتأثروا بهم وبآرائهم ومناهجهم فأصبحوا أداة لنشر الانحرافات الفكرية والعقدية الضالة في المجتمعات الإسلامية.

هذه المؤثرات وغيرها جلبت للعالم الإسلامي العديد من المفاهيم والأفكار والمبادئ والقيم والتصورات المادية بعضها أوجلها لا يتفق مع الإسلام، ولكن للأسف وجدت لدى الأغرار من بعض أبناء الإسلام قبولاً لما تحمله من شعارات جوفاء ما تلبث أن ينكشف عوارها، وهذا ما حدث للشيوعية والاشتراكية التي سقطت في أكبر معاقلها - فيما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي - في بداية التسعينات الميلادية، والبقية من المناهج الوضعية القائمة اليوم تأتي لاحقاً إن شاء الله تعالى، ولكن للأسف الشديد مازال البعض من أبناء الإسلام يروج لهذه الشعارات من باب التجديد والتطوير!!!

ولازال العالم الإسلامي يعيش سلبيات هذه المؤثرات حتى اهتزت الرؤية لدى الكثيرين من أبناء الإسلام، وأصبح لا يفرق بين الغث والسمين، وبين الصحيح والسقيم، وبين ما هو صواب وما هو خطأ، وعلقت بنت الشاطئ رحمها الله على ما آل إليه حال المسلمين نتيجة هذه المؤثرات فقالت:

" في النقع المثار، اهتزت الرؤية وضلت المقاييس، وتاهت معالم شخصيتنا الإسلامية، فلم نعد نميز بين المحافظة والرجعية، ولا بين الأصالة والجمود، بل لم نعد نفرق في عناصرها وسماتها بين الجوهر والعرض، ولا بين النقي الأصيل والطارئ الدخيل " (الشخصية الإسلامية، ص ١٦).

رابعاً: اتباع الهوى والشهوة.

إن اتباع الهوى والشهوة سبب رئيس من أسباب ورود المهالك، وتصدع الأمة، وقد عبر عن هذا المعنى حمزة الجيلاني إذ أوضح أن اتباع الأهواء والشهوات يترتب عليه انتشار الفساد وارتكاب المنكرات، ومتى فسدت النفوس البشرية فسدت الأمزجة ولؤمت الطباع وخبثت العادات وانحلت القيم والأخلاق وبذلك تنحط الأمة (الإشراق الإسلامي، ج ٢، ص ٢٧٦).

وقد استعرض الماوردي في كتابه أدب الدنيا والدين الهوى والشهوة فقال عن الهوى: " وأما الهوى فهو عن الخير صاد، وللعقل مضاد، لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها، ويظهر من الأفعال فضائحها، ويجعل ستر المروءة مهتوكاً ومدخل الشر مسلوكاً" (ص ٣٣).

وقال عن الشهوة: " والشهوة من دواعي الهوى، ونقل عن علي بن أبي طالب ﷺ قوله: إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم، فإن عاجلها ذميم، وآجالها وخيم، فإن لم ترها تنقاد بالتحذير والإرهاب، فسوّفها بالتأميل والإرغاب، فإن الرغبة والرهبة إذا اجتمعتا على النفس زكت لهما وانقادت " (ص ٣٦).

فإذا استسلم الإنسان المسلم لهواه وشهوته أوقع نفسه في الازدواجية، وكان سلوكه حينئذٍ بعيداً عن توجيهات الإسلام وآدابه السامية.

خامساً: التسويف وطول الأمل.

من الأسباب التي تُوقع الإنسان المسلم في ازدواجية السلوك، التسويف وطول الأمل في التكاليف الشرعية، التي فرضها الله تعالى وأوجب الالتزام بها.

وهناك تجاوزات مشاهدة وملموسة لهذه التكاليف الشرعية بحجة أنه سيلتزم بذلك غداً إذا بلغ من العمر الأربعين أو الخمسين أو الستين، أو إذا جمع مبلغاً قدره كذا، أو إذا حصل على مركز اجتماعي مرموق، أو حصل على درجة علمية معينة ...الخ.

ولكن هل غاب عن هذا الإنسان الموت المقدر على كل نفس؟ قال الله تعالى في محكم التنزيل: [كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ] (آل عمران:١٨٥)، وهل غاب عنه قوله تعالى:[كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] (القصص:٨٨)؟ وقوله تعالى: [كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ] (الرحمن: ٢٦ - ٢٧)؟ والله تعالى بحكمته البالغة غيّب موعد الآجال والأحداث المستقبلية بكل ما تحتويه من خير وشر ليشمر عن ساعد الجد المجدون، ويتقاعس المتقاعسون، ومهما طال عمر الإنسان فهو قصير جداً، وأوضاعه لا تدوم على حال، والله المستعان.

وروي أن المأمون قرأ قوله تعالى: [فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا] (مريم:٨٤)، وكان عنده جماعة من الفقهاء، فأشار إلى ابن السماك أن يعظه فقال: إذا كانت الأنفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما أسرع ما تنفد (الشنقيطي، أضواء البيان، ج ٤، ص ٢٩٥).

إن الإنسان المسلم الواعي المدرك يعرف أنه لا يضمن أن يعيش غداً، بل لا يضمن لنفسه أن يعيش ثانية أو جزءاً منها، لذلك فهو محاسب لنفسه، متيقظ لسلوكه، مراقب الله تعالى في كل ذلك وعليه فلا يترك لنفسه العنان بالتسويف والآمال ويقع في المحظور والعياذ بالله.

المبحث الثاني: آثار الازدواجية على الفرد:

لاشك أن ازدواجية السلوك حالة غير صحية، وعليها يترتب آثار سلبية على الفرد أولاً وعلى المجتمع ثانياً، ومن أبرز الآثار على الفرد ما يلي: ـ

أولاً: فقدان الثقة في النفس.

إن المرء كلما كان متأرجحاً ومذبذباً في سلوكه، فإنه يعاني من حالة عدم الاستقرار والثبات، وعليه فإنه يفقد الثقة في نفسه، فلا يستطيع أن يتحمل مسؤولية أي عمل جاد قل ذاك العمل أو كثر، لأنه يرى نفسه أنه غير مؤهل لذلك العمل، فإذا ما طُلب منه ـ على سبيل المثال ـ إلقاء كلمة أو موعظة حتى وإن كان لديه القدرة العلمية والعملية على ذلك فلن يستطيع القيام بأداء هذه المهمة لأنه يشعر أن ما يقوله لا يطبقه على نفسه فلن يستجيب له الآخرون !! وبهذا حَرَمَ نفسه من أجر الدعوة إلى الله - وهو أجر عظيم بلا شك -، وحَرَمَ الآخرين من التذكير والنصح والإرشاد.

ثانياً: عدم الاهتمام بالوقت وإضاعته فيما لا فائدة منه.

إن الإنسان مزدوج السلوك يضيّع أوقاته هباءً منثوراً من منطلق المثل القائل:[ساعة لربك وساعة لقلبك] فتجده يقضي كل أوقاته في ملهيات قد يصل بعضها إلى درجة التحريم، بينما يخصص للعبادة أوقاتاً محدودة لا تتعدى أداء الفرائض، ثم لا تسأل عن كيفية أدائها !! وهذا ليس تجنياً بل وضع مشاهد على مرأى ومسمع من المبصرين.

ثالثاً: استغلاله من أصحاب النفوس الضعيفة.

إن شياطين الجن والإنس تتربص بالإنسان الدوائر، وقد يكون شياطين الأنس أكثر خطراً من شياطين الجن، ففي كل زمان ومكان هناك أعداءٌ للإسلام وأهله، فتلك سنة الله في خلقه.

وإن أعداء الإسلام في أيامنا هذه كُثر، فحتى يحققوا مآربهم يتخذون لذلك وسائل متنوعة منها: استغلال ذوي السلوكيات المزدوجة للنيل من الإسلام وأهله بإشاعة الشبهات، ونشر المبادئ والأفكار الضالة والمضللة، ونشر وسائل الترف والمجون وكل ما يخدم أهدافهم لا يتورعون من عمله متمثلين مبدأ [الغاية تبرر الوسيلة]، وهذا المبدأ بلا شك غير إسلامي لأن الوسائل في الإسلام تأخذ حكم الغايات، والغايات في الإسلام دائماً سامية ونبيلة.

المبحث الثالث: آثار الازدواجية على المجتمع:.

الفرد نواة المجتمع - كما يقول علماء الاجتماع - فإذا لم يصلح الفرد فأنى للمجتمع أن يصلح !! ولذلك تمتد آثار ازدواجية السلوك إلى المجتمع، ومن أبرزهـا: ـ

أولاً: التخلف عن الأمم المتقدمة.

أنَّى يكون لأمة أي تقدم إذا كان جل أفرادها ليسوا على مسلك شرع الله تعالى، فإن بدا لك من أحدهم سلوك قويم سرعان ما يتحول إلى سلوك معاكس ومناقض له تماماً، وهذا الوضع لا يتحقق معه عمل مثمر يقوم على الابتكار والاختراع والتجديد، ويتحقق معه للأمة التقدم والازدهار، بل تصبح هذه الأمة وأفرادها عالة على غيرها من الأمم حتى في أتفه الصناعات مهارة ودربة.

ثانياً: تبـــدد الأخـــلاق.

ترتبط الأخلاق ارتباطاً وثيقاً بقواعد الدين الإسلامي، ولذلك قال ﷺ: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " (البيهقي، السنن الكبرى، باب بيان مكارم الأخلاق رقم (٤٠)، ج ١٠، ص ١٩١)، والسلوك المزدوج ناتج عن خلل في تطبيق قواعد الإسلام معه يتبدد الكثير من المبادئ والأخلاقيات التي تقوم عليها حياة الأمم، وتكون هذه الأمة عرضة للضياع والتهميش، ولله درّ أحمد شوقي إذ يقـــول:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت..... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ثالثاً: تفشي الغش والفســاد الإداري.

إن مجتمعاً تفشى في بعض أفراده ازدواجية السلوك، يكون عرضة لظهور الغش بأنواعه، وظهور الفساد الإداري بأنواعه أيضاً، والغش والفساد

الإداري يهزان موازين المجتمع اقتصادياً واجتماعياً، وينخران قواه، فإذا تقدم خطوة إلى الإمام، تقهقر خطوات إلى الخلف.

رابعاً: اهتزاز الصف المؤمن المرصوص.

يقول الله تعالى: [إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ] (الصف:٤)، والذي يعطل هذه القاعدة ويخلخلها هو مخالفة القول للفعل والذي عبر عنه القرآن الكريم بقوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ] (الصف:٢)، وهذا التعبير القرآني [لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ] ضم في ثناياه كل الأسباب التي تهز الصف المؤمن المرصوص.

إن القول الحسن إذا صدر من بعض الناس يترك أثراً عظيماً في النفس، وفي النفس المؤمنة خاصة، ذلك لأنها تتلقى الكلام الطيب والقول الحسن بصدر سليم، وقلب مفتوح، وتصديق أكيد، وظن حسن، أما إذا خالف القول الفعل فإن الخديعة كبيرة، والإثم عظيم وكان مقت الله لذلك مقتاً كبيراً (النحوي، منهج المؤمن بين العلم والتطبيق، ص ١٣٨).

خامساً: فقدان الثقة بين أفراد المجتمع الواحد.

لا يجمع أفراد المجتمع الواحد إلاّ الحب والإيثار وحسن التعامل، وكل هذه المعاني السامية وغيرها كُثر حض عليها الإسلام وألحَّ عليها من أجل تماسك المجتمع وتماسك الأمة، أما إذا ازدوجت السلوكيات فأصبح الشخص يقابلك بوجه ثم في مقام آخر يقابلك بوجه آخر، أو تراه يظهر لك الحب والإخلاص وفي الخفاء يكيد لك كيد الأعداء، فساعتئذٍ تنعدم الثقة، وتمتلئ القلوب كُرهاً وحقداً.

المبحث الرابع: موقف الإسلام من ازدواجية السلوك.

إن القـرآن الكـريم والـسنة المطهـرة همـا المـصدران الأساسـيان للتربيـة الإسـلامية، وإذا أردنـا أن نعـرض موضـوع الازدواجـية في السلوك على القـرآن الكـريم والـسنة المطهـرة نجـد الكـثير مـن النـصوص الـشرعية الـتي تنبـه إلى ازدرائها وخطورتها وضرورة البعد عنها، لـذلك خصـصت هـذا الفـصل للوقـوف على هذه النصوص للخروج بمجموعة من الاستنتاجات حول هذه الظاهرة.

أولاً: ازدراء القرآن الكريم لازدواجية السلوك.

إن أول ما يسترعي الانتباه إلى ازدراء القرآن الكـريم لازدواجيـة السلوك في الإنسان قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ] (الصف:٢- ٣)، وذلك لأن النـداء موجـه مباشـرة إلى المؤمنين ـــ ونحـن هنا نبحث في سلوك المسلم - وهذا النداء وأمثاله في القرآن الكريم يقـول عنه الـصحـابي الجليـل عبـد اللّه بـن مـسعود ﷺ إذا سمـعت اللّه تعـالى يقـول: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] فأعـرها سمعك فإنه خير يأمر بـه، أو شر ينهـى عنـه. (الجزائـري، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، ص ٩).

وبالرجوع إلى عـدة تفاسير لفهم الآية الكـريمة المشار إليها، وجدت آيتين يضمها المفسرون معها، وهما:

الأولى: قولـه تعـالي: [أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ] (البقرة:٤٤).

الثانية: قوله تعـالى: [وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ] (هود: من الآية٨٨).

ويوضح الشيخ السعدي - رحمه الله - معنى هذه الآية الكريمة بقوله: وهذه الآية وإن كانت نزلت في بني إسرائيل فهي عامة لكل أحد لقوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ] (الصف: ٢ - ٣) (تيسير الكريم الرحمن، ص ٣٤).

وحول الآية الثانية ذكر السعدي فوائد عدة لقصة شعيب عليه السلام ومنها: " أن من تكملة دعوة الداعي وتمامها أن يكون أول مبادر لما يأمر غيره به، وأول منتهٍ عما ينهى غيره عنه، وكما قال شعيب عليه السلام: [وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ] (هود: من الآية٨٨)، ولقوله تعالى:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ] (الصف:٢) (المرجع السابق،ص ٣٤٤).

ويتضح من شرح الآيات السابقة أنها كلها تدور حول معنى واحد وهو عدم مخالفة الفعل للقول.

ومن الآيات التي أشارت إلي ازدواجية سلوك المسلم قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً] (الأحزاب: ٧ - ٧١)، وقد ذكر القرطبي - رحمه الله - عدة أقوال لقوله تعالى: [قَوْلاً سَدِيداً] ومن تلك الأقوال: قصداً وحقاً، وقيل صواباً، وقيل لا إله إلاّ الله، وقيل هو الذي يوافق ظاهره باطنه، وقيل هو ما أريد به وجه الله دون غيره... ثم قال: والقول السداد يعم الخيرات فهو عام في جميع ما ذكر وغير ذلك (ج ١٤، ص ٢٥٣).

ومن الآيات التي أشارت إلى ازدواجية سلوك المسلم قوله تعالى: [ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ] (فاطر:٣٢)، وقد سبق أن تناولت الدراسة في الفصل الأول أنواع السلوك، وتم الاستشهاد برأي ابن تيميه رحمه الله بما ذكره استناداً إلى التقسيم الوارد في الآية المشار إليها: (الظالم لنفسه) (المقتصد) (السابق بالخيرات)، واتضح أن ابن تيميه أشار إلى ازدواجية السلوك ضمناً في قسم (الظالم لنفسه).

وحول الآية السابقة ومعناها يوضح الشيخ السعدي أن من أمة محمد ﷺ ظالم لنفسه بالمعاصي التي هي دون الكفر، ومنهم مقتصد على ما يجب عليه، تارك للمحرم، ومنهم مسارع في الخيرات ومجتهد فيها وهو المؤدي للفرائض المكثر من النوافل التارك للمحرم والمكروه، فكل هؤلاء اصطفاهم الله تعالى لوراثة القرآن الكريم، وإن تفاوتت مراتبهم وتميزت أحوالهم، فلكل منهم قسط من وراثته حتى الظالم لنفسه، فإن معه من أصل الإيمان و علوم الإيمان، و أعمال الإيمان من وراثة الكتاب، لأن المراد بوراثة الكتاب، وراثة علمه وعمله، و دراسة ألفاظه، واستخراج معانيه (تيسير الكريم الرحمن، ص٦٣٦).

ثانياً: ازدراء السنة المطهرة لازدواجية السلوك.

هناك جملة من الأحاديث الشريفة الدالة على خطورة ازدواجية السلوك التي تتوافق معانيها مع الآيات السابقة سالفة الإشارة، وهي: ـ

الحديث الأول: عن أسامة بن زيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ قول: "يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟! قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه " (صحيح البخاري، حديث رقم ٣٠٩٤، ج ٣، ص ١١٩١).

الحديث الثاني: عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ثم رأيت ليلة أُسري بي رجالاً تقرض شفاهم بمقاريض من نار، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ فقال: خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون " (رواه أحمد في المسند، ج ٣، ص ٢٣٩).

الحديث الثالث: عن جندب بن عبد الله الأسدي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: " مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل المصباح يضئ للناس ويحرق نفسه " (رواه الطبراني في الكبير، حديث رقم ١٦٨٥، ج ٢، ص ١٦٧).

من خلال الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة السابق عرضها، يمكن التوصل إلى الاستنتاجات الآتية: ـ

١ - إن السلوك المزدوج، سلوك انحرف عن منهج الله تعالى، وهو سلوك مذموم وممقوت، بل إن الله تعالى جعل المتصفين به من الظالمين لأنفسهم أي: العاصون المبتعدون عن التطبيق الكلي لتوجيهات الله سبحانه تعالى.

٢ - من العقوبات المترتبة على هذه الصفة (السلوك المزدوج) سلب حلاوة الإيمان ولذة التعبد، لأن هذه النعمة العظيمة لا تتأتى إلاّ لرجال مؤمنين ونساء مؤمنات، باطنهم كظواهر هم بل أجلى، وسرائرهم كعلانيتهم بل أحلى، وهممهم عند الثريا بل أعلى (ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص ١٧).

٣ - ينبغي على الإنسان المسلم أن يكون واضحاً في كل سلوكياته وفي كل الأوقات انطلاقاً من توجيهات الإسلام الواضحة، فالوضوح كما يقول خياط سمة القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولذا جاء الإسلام واضحاً في كل شئ في مبادئه وأهدافه وقواعده ومناهجه ووسائله، وأيضاً وضوح في العقيدة والتشريع والأخلاق والآداب والمعاملات والعبادات لا غموض ولا رموز ولا أحجية ولا طلاسم (المبادئ والقيم، ص ٨٣).

٤ - إن الإسلام يرفض رفضاً قاطعاً ازدواجية السلوك، ولا يقبل انقسام الذات إلى تقوى وفسق، فليس من الإسلام في شئ أن يكون الإنسان المسلم تقياً في المسجد وهو يغش في معاملة الناس، أو أنه يتظاهر بالزهد والتقوى ولكنه يسكر ويزني ويقامر في السر، فالإسلام يوحد وينظم سلوك الإنسان المسلم كما يوحد وينظم أفراد المجتمع الواحد (الجمالي، نحو توحيد الفكر التربوي، ص ٥٥).

ويقول سيد سابق - رحمه الله - لقد حرص الإسلام على أن يكون الإنسان على خلق كريم وسلوك غير مزدوج يليق بكرامة الإنسان، وكل ذلك من أجل إيجاد عناصر قوية وأفراد صالحين يستطيعوا أن يسهموا بقلوبهم وعقولهم في ترقية الحياة واعلائها (عناصر القوة في الإسلام، ص ٤٤).

والإسلام يعلم أن الإنسان يعتريه ضعف فهو طبع لازم لكينونته، لذلك نجد الكثير من الآيات القرآنية الكريمة التي تشخص حالات الضعف البشري، ومن تلك الآيات:-

١- قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم:٣٤).

٢- قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ﴾ (هود:٩).

٣- قال تعالى:[خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ] (النحل:٤)، وقوله:[أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ] (يّس:٧٧).

٤- قال تعالى: [وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا] (النساء: الآية٢٨).

٥- قال تعالى: [وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا] (الإسراء: الآية١١).

٦- قال تعالى: [وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا] (الإسراء: الآية٦٧).

٧- قال تعالى: [وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا] (الإسراء: الآية١٠٠).

٨- قال تعالى: [وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا] (الكهف: الآية٥٤).

٩- قال تعالى: [إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا] (الأحزاب: الآية٧٢).

١٠ - قال تعالى: [إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا] (المعارج:١٩).

١١ - قال تعالى: [إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ] (العاديات:٦).

ويؤكد الجمالي أن ما في النفس البشرية من ضعف أشارت إليه الآيات الكريمة السابقة لا يعني " إن الإنسان يولد في الخطيئة كما تقول بعض الأديان المنحرفة عن الصواب، فالطفل يولد برئياً وخالياً من كل جريرة، وإن توجهه نحو سلوك الخير أو سلوك الشر يرجع إلى تربيته وإلى البيئة المحيطة به وليس إلى طبيعته الأصلية لأن كل مولود يولد على الفطرة، ولذا قال الرسول ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه....الحديث) (صحيح البخاري، الحديث رقم ١٣١٩، ج ١، ص ٤٦٥) (نحو توحيد الفكر التربوي، ص ١٠٠ ـ ١٠١).

ولهذا تقع على عاتق المربين والمسؤولين في مختلف قطاعات الدولة مسؤولية في غاية الأهمية، إذ آن عليهم جميعاً توجيه أفراد الأمة، وعلاج ما يطرأ على أفرادها من سلوكيات ناشزة عن منهج الإسلام.

المبحث الخامس: طرق علاج ازدواجية السلوك. من منظور التربية الإسلامية.

من خلال ما سبق ذكره حول أهمية قيام المربين والمسؤولين في مختلف الجهات المعنية والمختصة في الأمة بتوجيه وإرشاد الأفراد وعلاج ما يطرأ على سلوكياتهم من أفعال لا تليق وتوجيهات الإسلام، نركز في الصفحات القادمة – بإذن الله تعالى – على مجموعة من الوسائط الفاعلة في علاج ظاهرة ازدواجية السلوك وهي: [الأسرة ـ المدرسة ـ المسجد ـ الإعلام].

وسوف أعلق باختصار على دور كل من هذه الوسائط بما أرى أنه يكفي من إيضاح المقصود إن شاء الله تعالى: –

أولاً: الأسرة.

لا يمكن بحال إغفال دور الأسرة في توجيه وإرشاد النشء، فهي المحضن الأول لتربية الإنسان، بل إن سلوكياته تتكون وفق ما يغرسه الوالدان في السنين الأولى من عمر النشء، ولذا يقول الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

والأسرة تتكون من عدة عناصر رئيسة، هي: –

١ – الأب.

٢ – الأم.

٣ – الإخوة [ذكوراً – إناثاً].

والذي يهم هنا – وإن كانت جميع العناصر ذات أهمية – دور الأب والأم في توجيه وإرشاد أولادهم، لأن ذلك من أوجب الواجبات عليهم، قال

تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ] (التحريم:٦)، وقال ﷺ: "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع ومسؤول في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته...الحديث" (صحيح البخاري، حديث رقم ٨٥٣، ج ١، ص ٣٠٤)، وقال ﷺ: " كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت " (رواه الطبراني في الكبير، حديث رقم ١٣٤١٤، ج ١٢، ص ٣٨٢).

من هذه التوجيهات السامية ينبغي على الوالدين الحرص التام في غرس عقيدة التوحيد ومبادئ الإسلام الحسنة في نفوس أنجالهم، وأن يكونا قدوة صالحة لهم في كل شئ، لأن الطفل لا يمكن أن يستجيب لتوجيهات وإرشادات والديه ما لم يكونا أول الملتزمين بهذه التوجيهات والإرشادات فعلى سبيل المثال: إذا وجه الوالدان الأولاد بالالتزام بالصدق والأمانة مع الآخرين ولم يطبقا هما في سلوكهما فلن يكون لهذا التوجيه والإرشاد أي أثر في سلوك الأولاد ويصدق عليهما قول الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقبل ختام الحديث عن دور الأسرة في توجيه وإرشاد أولادهم، أرى من الأهمية بمكان الإشارة إلى أمرين في غاية الأهمية، هما: ـ

١ ـ حتى يكون توجيه الآباء والأمهات بوعي وإدراك يؤتي أُكله بإذن ربه تعالى، فعلى الوالدين السعي إلى طلب العلم الشرعي والاستزادة منه مع المداومة على ذلك طيلة حياتهما، وألاّ يعزفا عن ذلك بحجة ضيق الوقت، أو كبر السن، أو خلاف ذلك من الحجج الواهية التي تمليها النفس

الـضعيفة، فطلـب العلـم واجـب شـرعاً، وقـد وجـه الله تعـالى رسـوله ﷺ للاستـزادة منـه فقـال تـعالى: [وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً] (طـه: مـن الآيـة١١٤)، وقال ﷺ: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" (سنن ابن ماجة، حديث رقم ٢٢٤، ج ١، ص ٨١).

والوسائل المعينة على طلب العلم ميسرة ومتنوعة خاصة هـذه الأيام ولله الحمد، فأسهل ما ينصح به هو الاستماع إلى دروس العلماء ومحاضراتهم عبر وسائل الإعلام المختلفة وخصوصاً الشريط الإسلامي، وفي حالة عدم الفهم لموضوع معين أو الاستفسار عن قضية محددة، فإنه يمكن بسهولة الاتصال بالعلمـاء المختـصين، وطلبـة العلـم المتمكـنين للإجابـة علـى الموضـوعات والاستفسارات المطلوبة، وقد وجهنا الله تعالى في ذلك فقال:[وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ] (النحل:٤٣)، وقال تعالى: [وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ] (الأنبياء:٧).

٢ ـ مراعاة التوازن والاعتدال في توجيه وإرشاد الأولاد، فلا إفراط ولا تفريط، فالتوازن والاعتدال مبدأ إسلامي أصيل تتميز به الشريعة الإسلامية في كل شؤونها، فينبغي على الوالدين التوسط والاعتدال في محبتهم لأولادهم، فلا يفضل ابن على ابن، ذكراً كان أم أنثى، وأن لاتصل الشدة واللين بالأولاد إلى حد الإفراط، فكل ذلك ينتج معه آثارٌ سلبية تؤدي إلى الانحراف والتورط في المحظور والعياذ بالله، وأن لا يغيب عن ذهن الوالدين بأن يكون بجانب وقت الدراسة وطلب العلم ما يخصص للعب والمرح والترويح عن النفس، فالنفوس إذا تعبت ملت، وصح عن الرسول ﷺ أنه: " يتخول أصحابه بالموعظة في الأيام كراهية السآمة " (صحيح البخاري، حديث رقم ٦٠٤٨، ج ٥، ص ٢٣٥٥).

وخلاصة القول أنه إذا التزم الآباء والأمهات في تربية أولادهم التربية الإسلامية الصحيحة، فإنهم قد أعدوا جيلاً من أبناء الإسلام صالحاً في تعامله مع خالقه ونفسه والآخرين، فلا خداع ولا كذب ولا حقد ولا حسد ولا نميمة، ولا أي سلوك مخالف لمنهج الله تعالى.

ثانياً: المدرسة.

بعد أن يمضي الإنسان في الغالب ما يقارب الست سنوات تحت إشراف أسرته وقد تشبع وغُرست فيه بعض السلوكيات، ينتقل إلى المدرسة وفيها يمضي الإنسان سنين طويلة تصل إلى اثني عشر عاماً، وفي خلال هذه الفترة يتلقى التوجيهات والإرشادات في إطار المعتقدات والمبادئ والقيم والأفكار، ويتأثر أيضاً بالسلوكيات التي تصدر من المعلمين، لذلك سوف يتم التركيز على دور المدرسة في معالجة ازدواجية السلوك من خلال عنصرين أساسيين في المدرسة هما:-

١. المعلم.

المربون وغير المربين يعرفون أهمية الدور الذي يضطلع به المعلم داخل المدرسة، وتأثيره الفاعل في سلوك المتعلمين، ولا نخالف الواقع إذا قلنا أن كثيراً من الطلاب يحاكون سلوك معلميهم في ملابسهم وفي ألفاظهم، وفي طريقة كلامهم وما إلى ذلك، بل نقول أن غالبية سلوك الطلاب هو انعكاس لسلوك المعلمين داخل المدرسة وخارجها.

ولذلك اهتم السلف والخلف بوضع صفات أساسية للمعلمين، ويجب على الجهات المعنية بتعيين المعلمين وفي كافة المستويات الاهتمام بهذه الصفات

واستبعاد أي معلم لا تتوافر فيه، وفي مقدمة هذه الصفات تقوى الله تعالى وحسن الأخلاق والصدق والأمانة وسعة العلم والثقافة الإسلامية، فإذا ما اتصف المعلم بهذه الصفات وحرص المسؤولون على وجودها في المتعلمين فبدون شك لن يصدر أي سلوك من المعلم ما لم يكن موافقاً لمنهج الله سبحانه وتعالى، فلا يصدر منه مذمة لزملائه، أو ازدراء لأحدٍ من الناس، أو تعاطٍ للتدخين، أو سماع للأغاني الساقطة، أو ضياعٍ للأوقات فيما لا فائدة منه، أو عدم الاهتمام بمادته وإعطائها حقها من الإطلاع والتحضير والشرح، ويكون كل همه هو مصلحة الطالب وإعداده إعداداً مركزاً؛ فإذا تصورنا أن ذلك حال جميع المعلمين أو جلهم فنكون اقتربنا حينئذٍ من إعداد جيلٍ من أبناء الإسلام واعٍ مدركٍ صالحٍ مصلحٍ، سلوكه واحد لا ازدواجية ولا انحراف، يحقق للأمة الإسلامية عزها ومجدها.

٢. الكتاب المدرسي.

يعد الكتاب مصدراً أساسياً من مصادر التعليم، لذلك تتعالى نداءات التربويين وأولياء الأمور والمثقفين وكل المهتمين بالعملية التربوية بين الحين والآخر للعناية بالكتاب المدرسي، لكي يتواكب والمتغيرات العصرية من جهة ويتناسب ومدارك المتعلمين واهتماماتهم من جهة أخرى، وهذه النداءات دليل واضح على مدى الأهمية الكبرى للكتاب المدرسي، وحتى يكون للكتاب دوره الفاعل في معالجة ازدواجية السلوك ينبغي التركيز على عدة أمور منها:-

١ - غرس عقيدة التوحيد في نفوس الناشئة بالوسائل والطرق الملائمة، وبيان مظاهرها في شتى جوانب الحياة.

٢ - الاهتمام والتركيز على الثقافة الإسلامية وبيان أصالتها وطرح ما دونها من الثقافات إلاّ ما كان منها موافقاً للضوابط والقواعد الشرعية.

٣ - التركيز على شخصية الرسول ﷺ [الأسوة الحسنة]، وصحابته الكرام رضوان الله عليهم، والتابعين لهم بإحسان، وعرض مواقفهم وسلوكياتهم المتوازنة عرضاً يجعل من كل هؤلاء، ومن الرسول ﷺ تحديداً نماذج ومثل أعلى يحتذي بهم.

٤ - نشر المبادئ والقيم الإسلامية.

٥ - الاهتمام بالجانب التطبيقي العملي في عرض محتويات الكتاب، فالجانب العملي أكثر تأثيراً ورسوخاً في الشخصية.

٦ - إن أي تطوير وتجديد للكتاب المدرسي ينبغي أن يتوافق مع أصول الإسلام وقواعده العامة، ويُسأل في ذلك العلماء والمختصون والمعروف عنهم الإخلاص والغيرة على الإسلام ومصالح المسلمين.

ثالثاً: المسجد.

المسجد أحد الروافد الأساسية للتوجيه والإرشاد في المجتمع المسلم، بل كان المسجد في صدر الإسلام هو المنطلق لكل شؤون الدولة، فلم يكن مكاناً لأداء الصلوات الخمس فحسب، بل مركزاً للحكم، ومركزاً للإدارة والسياسة، والاقتصاد، وقيادة الجيوش المجاهدة لإعلاء كلمة لا إله إلاّ الله محمداً رسول الله، ومركزاً للإشعاع العلمي والمعرفي.

والآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة التي توضح مكانة المسجد كثيرة جداً، ومنها: -

قال تعالى: قال تعالى: [إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ] (التوبة:١٨)، وقال تعالى [فِي بُيُوتٍ

أَذِنَ اللَّـهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ] (النور: من الآية٣٦) وقال ﷺ: " أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدها...الحديث " (صحيح مسلم، حديث رقم ٦٧١، ج ١، ص٤٦٤).

والمؤمل اليوم من مساجدنا أن تتفهم الرسالة الحقيقية للمسجد، وأن تسعى جاهدة لتحقيقها، وفي الوقت ذاته تعالج ما اعتراها من جوانب النقص والتقصير في أداء رسالتها، ولا يتأتى ذلك بالتأكيد إلاّ من خلال بذل جهد كبير جداً لوضع الخطط والدراسات العلمية التي تعيد للمسجد رسالته التي يتطلع إليها المسلمون اليوم.

ومع يقيني بتطور الحياة وتعقدها واتساع مجالاتها مما يصعب أن يكون هناك اتفاقاً تاماً بين وظائف المسجد في صدر الإسلام وبين وظائفه اليوم، إلا أنه لابد أن يكون للمسجد تأثير أقوى في حياة الأمة مما هو عليه اليوم، والسؤل الذي يطرح نفسه هنا هو: كيف يمكن للمسجد معالجة ازدواجية السلوك؟ فأرى إن ذلك يحتاج إلى عدة أمور أهمها: -

١- الاهتمام باختيار الأئمة والمؤذنين ممن لديهم علم وإلمام بالعلوم الشرعية وعلم أيضاً بالواقع المعاصر ومتصفون بصفات الصلاح والتقوى والاستقامة في السلوك، ويوجهون بالاهتمام بتوجيه وإرشاد المصلين فيما ينفعهم في دينهم ودنياهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وإقامة دروس مستمرة في وقت يتناسب مع جماعة المسجد.

٢ - الأئمة والمؤذنون القائمون على أداء هذه الشعيرة ممن سبق تعيينهم أو ترشيحهم وهم دون المستوى المطلوب فمن المستحسن إعادة تأهيلهم التأهيل الشرعي اللازم وفق خطط مدروسة، وبرامج منظمة يتوافر لها علماء متخصصون، وكفاءات إدارية، وإمكانات مادية كافية.

٣ - تكثيـف الأنـشطة الدعويـة مثـل: [الـدروس، المحاضـرات، النـدوات، الكلمات الوعظية...الخ]، التي توضح في بعضها خطورة ازدواجية السلوك وما يترتب عليها من آثار سلبية على الفرد والمجتمع. وأن يخصص لها رجال معـروفون بعلمهـم وصـلاحهم، وتـنظم هـذه المناشـط وفـق أسـس علميـة مدروسة بعيدة عن الإجراءات البيروقراطية المعقدة.

٤ - التركيز على إيضاح ما يواجهه العالم الإسلامي من تحديات متعددة وفي مقدمتها الغزو الفكري والثقافي الذي يبث هذه الأيام عبر القنوات الفضائية، وعبر شبكة المعلومات العالمية [الإنترنت]، وكيفية مواجهة ذلك الغزو بأسلوب يقوم على الحكمة ووسطية الإسلام لتبيين محاسن الإسلام وعظمته، وأنه الدين الخاتم المتمسك به ينال خيري الدنيا والآخرة.

رابعاً: الإعلام.

يعد الإعلام أهم وأخطر الوسائل المؤثرة في السلوك بجميع وسائله، وكثير ما يستخدم لبث المعتقدات والأفكار لتكون سلوكاً يمثله الأفراد في شؤون حياتهم.

إن الإعلام أكثر الوسائل وضوحاً في ترسيخ ازدواجية السلوك في واقعنا المعاصر، فعلى سبيل المثال ترى وسيلة إعلامية معينة سواءً تلفازاً، أو مذياعاً، أو مجلة، أو صحيفة... الخ تحدثك عن بعض توجيهات القرآن الكريم والسنة المطهرة، ووجوب إتباعهما، بل أنها تفتتح برامجها اليومية وتختمها بآي من القرآن الكريم، أضف إلى ذلك توقف البرامج فجأة لإعلان وقت دخول لأذان، وبعد لحظة أو لحظات ترى برنامجاً أو تسمع أغانٍ ماجنة، أو رقصٍ فاضح، أو

أفلامٍ ساقطة، أو إعلانات مائعة !!! ومن خلال هذا الزخم الإعلامي الموبوء تُفسد الأخلاق وتزين المساوئ وتشيع الفاحشة.

ولما كان الإعلام غالباً بهذه الصورة المهزوزة، فكان لابد من وضع خطوات يمكن من خلالها تصحيح مساره، ويكون أداة ناجعة في القضاء على ازدواجية السلوك، ومن تلك الخطوات:ـ

١ - تذكير القائمين على أجهزة الإعلام بوسائله المختلفة بمثل قول الله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ] (النور:١٩)، و قوله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ] (البروج:١٠).

٢ - على الجهات المسؤولة في الدولة اختيار رجال الإعلام ممن عرفوا بصلاحهم وتقواهم وفقههم، ليكونوا مشعل هداية وخير لأمتهم بما يبثونه من برامج إعلامية هادفة.

٣ - أن يلتزم هؤلاء المختارون لإدارة الأجهزة الإعلامية بالتوسط والاعتدال في إعداد وعرض البرامج الإعلامية، بعيداً عن الإفراط أو التفريط.

٤ الاهتمام بعنصري التنويع والتشويق في عرض البرامج الإعلامية لجذب المشاهدين والبعد عن البرامج ذات الأسلوب الرتيب، والإخراج العتيد.

٥ - عدم التقوقع على الذات ومحاولة الاستفادة الجادة من البرامج الإعلامية الهادفة التي تبثها القنوات الإعلامية الأجنبية، وعرضها بما يتوافق وخصوصية الفكر الإسلامي، فالحكمة ضالة المؤمن، قال ﷺ: (الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها) (سنن الترمذي، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم ٢٦٨٧، ج ٥، ص ٥١).

خلاصة الدراسة.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وقدوتنا محمد خير من حمد الله وشكر، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين: ـ

فمن خلال ما سبق في فصول الدراسة، يمكن تحديد أهم ما توصلت إليه الدراسة في النقاط التالية: ـ

١ - إن المقصود بالازدواجية ليست الحالة السوية التي تتكامل فيها العناصر المزدوجة في الإنسان، ولكن المقصود هو: الانحراف كثيراً عن الوسطية والتوازن الحقيقي الذي وضعه المنهج الإسلامي (قرآناً وسنة) للإنسان في تعامله مع الخالق والكون والإنسان.

٢ تأكيد القرآن الكريم والسنة المطهرة على وجود الازدواجية في سلوك الإنسان، ومقت الله تعالى الشديد لهذه الصفة.

٣- إن السلوك جزءٌ من الشخصية، فالشخصية أصل و السلوك فرع منها.

٤ - الازدواجية وضع قائم في سلوك الإنسان، يلمسها هو في ذاته، وفي الآخرين أيضاً.

٥ لازدواجية السلوك أسباب عدة منها: البعد عن الالتزام بحقائق الدين الإسلامي، وغياب القدوة الحسنة، والمؤثرات الخارجية، واتباع الهوى والشهوة والتسويف وطول الأمل.

٦ - لازدواجية السلوك آثار سلبية على الفرد والمجتمع، ومن آثارها على الفرد: (فقدان الثقة في النفس، عدم الاهتمام بالوقت وإضاعته فيما لا فائدة منه، استغلاله من أصحاب النفوس الضعيفة)، ومن آثارها على المجتمع (التخلف عن الأمم المتقدمة، تبدد الأخلاق، تفشي الغش والفساد الإداري، اهتزاز الصف المؤمن المرصوص، فقدان الثقة بين أفراد لمجتمع الواحد).

٧ - أهمية التربية الإسلامية في معالجة وإصلاح ازدواجية السلوك، وأنها هي الأساس في إصلاح أي خلل في الإنسان بخاصة والمجتمع بعامة.

٨ - يقع على عاتق المربين والمسؤولين وكافة قطاعات الدولة مسؤولية عظيمة جداً، إذ أن عليهم جميعاً توجيه أفراد المجتمع والأمة وعلاج ما قد يطرأ على أفرادها من سلوكيات ناشزة عن هدي الإسلام.

٩ - أهميــة الأسـرة، والوالـدين تحديـداً في تـوجيه وإرشـاد الـنشء وغـرس السلوكيات الإيجابية ونبذ السلوكيات السلبية وفق توجيهات التربية الإسلامية.

١٠ - للمدرسة دور فاعل في علاج ازدواجية السلوك من خلال اختيار معلمين أكفاء بمواصفات وشروط علمية محددة، ومن خلال تأصيل الكتاب المدرسي تأصيلاً وفق ضوابط شرعية من جهة ومسايرة المتغيرات المعاصرة من جهة أخرى.

١١ - يمكن للمسجد القضاء على ازدواجية السلوك من خلال إعادة رسالته من خلال الآتي:-

أ - العناية باختيار الأئمة والمؤذنين.

ب تكثيف المناشط الدعوية.

ج - تنظيم دورات علمية لكثير من الأئمة والمؤذنين الذين هم على رأس العمل لإعادة تأهليهم التأهيل الشرعي.

١٢ ـ الإعلام من أكثر الوسائل وضوحاً في ازدواجية السلوك، ولذلك ينبغي تذكير القائمين عليه بتقوى الله تعالي، وحسن اختيار العاملين فيه المعروفين بصلاحهم وتقواهم واعتدالهم.

التوصيـات.

من خلال استعراض فصول الدراسة، وتحديداً المبحث الخامس المتعلق بطرق علاج ازدواجية السلوك فقد تمت الإشارة إلى جملة من الآراء التي يمكن أن تكون مناسبة لعلاج هذه الظاهرة، وفي الوقت نفسه يتم التأكيد عليها هنا كتوصيات، ومن أهمها:-

١ - التأكيد على الجهات المعنية بتعيين المعلمين بأن يكون اختيارهم وفق جملة من الصفات وفي مقدمتها: تقوى الله تعالى وحسن الأخلاق والصدق والأمانة وسعة العلم والثقافة الإسلامية.

٢- التوصية بإعادة رسالة المسجد من خلال الآتي:

أ - العناية باختيار الأئمة والمؤذنين.

ب - تكثيف المناشط الدعوية.

ج - تنظيم دورات علمية لكثير من الأئمة والمؤذنين الذين هم على رأس العمل لإعادة تأهيلهم التأهيل الشرعي.

٣- تذكير القائمين على أجهزة الإعلام بوسائله المختلفة بمثل قول الله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ] (النور:١٩)، و قوله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ] (البروج:١٠).

٤ التأكيد على الجهات المسؤولة في الدولة اختيار رجال الإعلام ممن عرفوا بصلاحهم وتقواهم وفقههم، ليكونوا مشعل هداية وخير لأمتهم بما يبثونه من برامج إعلامية هادفة.

٥- التوصية بالتركيز على الالتزام بتوجيهات الإسلام، وتفعيلها في سلوكياتنا قولاً وفعلاً.

٦- التأكيد على ضرورة تكامل المؤسسات التربوية والاجتماعية في معالجة ظاهرة ازدواجية السلوك.

٧- التركيــز علــى الإقتــداء بــسيرة الرســول ﷺ في كــل أحوالــه، والإقتــداء بالصحابة الكرام – رضوان الله عليهم –، والتابعين لهم بإحسان.

٨- محاسبة النفس باستمرار والبعد عن اتباع الهوى والشهوة، وعدم الانتصار لها في أي حال من أحوالها.

٩- مراقبة الله تعالى في كل أعمالنا، والتفكر في حسابه وأليم عقابه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من آتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليه.

قائمة المصادر والمراجع.

أولاً: القرآن الكريم وعلومه.

١- القرآن الكريم.

٢- السعدي، عبدالرحمن (ت: ١٣٧٦ هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة دار الرسالة، بيروت – لبنان، ط ٩، ١٤١٨ هـ.

٣- الشنقيطي، محمد الأمين (ت: ١٣٩٣ هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢١ هـ.

٤- القرطبي، محمد أحمد (ت: ٦٧١ هـ)، تفسير القرطبي، دار الشعب، القاهرة، ط ٢، تحقيق/ أحمد عبد العليم البردوني، ١٣٧٢ هـ.

ثانياً: السنة النبوية الشريفة وعلومها.

٥- ابن حبان، محمد (ت:٣٥٤ هـ)، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، ١٤١٣هـ.

٦- ابن حنبل، أحمد (ت:٢٤١ هـ)، مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر، د ـ ت.

٧- ابن ماجة، محمد بن يزيد (ت:٢٧٥ هـ)، سنن ابن ماجة، دار الفكر، بيروت، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، د ـ ت.

٨- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت:٢٥٦ هـ)، **صحيح البخاري**، دار ابن كثير - اليمامة، بيروت، ط ٣، تحقيق/ مصطفى ديب البغا، ١٤٠٧هـ.

٩- البيهقي، أحمد بن الحسين (ت:٤٥٨ هـ)، **سنن البيهقي الكبرى**، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، ١٤١٤هـ.

١٠- الترمذي، محمد بن عيسى (ت:٢٧٩ هـ)، **سنن الترمذي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق / أحمد محمد شاكر وآخرون، د- ت.

١١- الطبراني، سليمان بن أحمد (ت: ٣٦٠ هـ)، **المعجم الكبير**، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، تحقيق/ حمدي عبد المجيد السلفي، ١٤٠٤هـ.

١٢- مسلم بن الحجاج (ت:٢٦١ هـ)، **صحيح مسلم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، د ـ ت).

ثالثاً: الكتب التراثية والثقافية.

١٣- ابن تيميه، أحمد (ت: ٧٢٨ هـ) **مجموع فتاوى**، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، ج ١، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

١٤- ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج (ت:٥٩٧ هـ)، **صيد الخاطر**، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، تحقيق/ عبد القادر عطا، ١٤١٩هـ.

١٥- ابن قيم، محمد بن أبي بكر (ت:٧٥١ هـ)، **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، دار الندوة الجديدة، بيروت ـ لبنان، ١٤١١ هـ.

١٦- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ١٤١٠ هـ.

١٧- بدوي، أحمد زكي، **معجم مصطلحات التربية والتعليم**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٠ هـ.

١٨- بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، **الشخصية الإسلامية دراسة قرآنية**، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ١٣٩٧ هـ.

١٩- الجزائري، **نداءات الرحمن لأهل الإيمان**، مكتبة لينة للنشر والتوزيع، مصر، ١٤١٤ هـ.

٢٠- الجمالي، محمد فاضل، **نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي**، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٣٩٢ هـ.

٢١- حمزة، محمد الجيلاني، **الإشراق الإسلامي**، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ج ٢، ١٣٩٣ هـ.

٢٢- خياط، محمد جميل بن علي، **المبادئ والقيم في التربية الإسلامية**، مركز البحوث التربوية والنفسية، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٦ هـ.

٢٣- دراز، محمد عبد الله، نظرات في الإسلام، تحقيق محمد موفق أبو اليسر البيانوني، مكتبة الهدى، حلب، ط ٢، ١٣٩٢ هـ.

٢٤- سابق، سيد، عناصر القوة في الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٨ هـ.

٢٥- عاقل، فاخر، معجم علم النفس، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩١ هـ.

٢٦- آل عبد اللطيف، عبد العزيز محمد، معالم في السلوك وتزكية النفوس، دار الوطن، الرياض، ١٤١٤ هـ.

٢٧- عبيدات، ذوقان، وآخرون، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ١٤٠٢هـ.

٢٨- فرغل، يحيى هاشم حسن، معالم شخصية المسلم، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، د – ت.

٢٩- قطب، محمد، الإنسان بين المادية والإسلام، دار الشروق، بيروت، ط ٥، ١٣٩٨ هـ.

٣٠- قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، بيروت، ج ١، ط ١٢، ١٤٠٩ هـ.

٣١- الماوردئ، علي بن محمد بن حبيب (ت: ٤٥٠)، أدب الدنيا والدين، دار الفكر، القاهرة.

٣٢- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، استانبول – تركيا، ١٣٨٠ هـ.

٣٣- النحوي، عدنان علي رضا، التربية في الإسلام النظرية والمنهج، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠ هـ.

٣٤- النحوي، عدنان علي رضا، منهج المؤمن بين العلم والتطبيق، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٣، ١٤١٤ هـ.

٣٥- الهاشمي، محمد علي، شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، دار البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان، ط ٦، ١٤١٧هـ.

٣٦- وين، رالف، قاموس جون ديوي للتربية، ترجمة: د. محمد علي العريان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ.

قائمة المحتويات

الموضـــــــــــوع	الصفحـة
المقدمة	٥
موضوع الدراسة	٧
تساؤلات الدراسة	٩
أهداف الدراسة	١٠
أهمية الدراسة	١٠
منهج الدراسة	١١
تحديد المصطلحات	١٣
أ - الازدواجية	١٣
ب - الشخصية	١٥
ج - السلوك	١٦
العلاقة بين الشخصية والسلوك	١٧
أنواع السلوك	١٧
المبحث الأول: أسباب ازدواجية السلوك	٢١
أولاً: عدم الالتزام بحقائق الدين الإسلامي	٢١

ثانياً: غياب الأسوة الحسنة (القدوة الصالحة)	٢٢
ثالثاً: المؤثرات الخارجية	٢٣
رابعاً: اتباع الهوى والشهوة	٢٥
خامساً: التسويف وطول الأمل	٢٥
المبحث الثاني: آثار الازدواجية على الفرد:	٢٧
أولاً - فقدان الثقة في النفس	٢٧
ثانياً - عدم الاهتمام بالوقت وإضاعته فيما لا فائدة منه .	٢٧
ثالثاً - استغلاله من أصحاب النفوس الخبيثة	٢٨
المبحث الثالث: آثار الازدواجية على المجتمع:	٢٩
أولاً- التخلف عن الأمم المتقدمة	٢٩
ثانياً- تبدد الأخلاق	٢٩
ثالثاً- تفشي الغش والفساد الإداري	٢٩
رابعاً- اهتزاز الصف المؤمن المرصوص	٣٠
خامساً- فقدان الثقة بين أفراد المجتمع الواحد	٣٠
المبحث الرابع: موقف الإسلام من ازدواجية السلوك.....	٣١
أولاً: ازدراء لازدواجية السلوك في القرآن الكريم	٣١
ثانياً: ازدواجية السلوك في السنة المطهرة	٣٣

المبحث الخامس: طرق علاج ازدواجية السلوك من منظور التربية الإسلامية	٣٧
أولاً: الأسرة	٣٧
ثانياً: المدرسة	٤٠
ثالثاً: المسجد	٤٢
رابعاً: الإعلام	٤٤
خلاصة الدراسة	٤٧
التوصيات	٥١
قائمة المصادر المراجع	٥٣
المحتويات	٥٩

مطابع جامعة أم القرى
تليفون وفاكس: ٥٥٦٦٢٥٨

مطابع جامعة أم القرى
تليفون وفاكس: ٥٥٦٦٢٥٨

ردمك : ١ - ٧٨٥ - ٠٣ - ٩٩٦٠